على الطريق العام

مشهد درامي في فصل واحد

شخصيات المسرحية

تيخون يفستيجنييف	:	صاحب حانة على الطريق العام .
سيمن سيرجييفيتش بارتسوف	:	إقطاعي مفلس .
ماريا يجوروفنا	:	زوجة بارتسوف الإقطاعي .
سافا	:	رجل عجوز عابر سبيل .
نازيروفنا ييفيموفنا	:	سيدتان متدينتان .
فيديا[1]	:	عابر سبيل ، عامل .
إيجر ميريك	:	متسكع .
كوزما	:	مسافر .
ساعي بريد		
حوذي زوجة بارتسوف .		
مسافرون متدينون ، رعاة غنم ، عابرو سبيل ... إلخ .		

يجري الحدث في إحدى المقاطعات الجنوبية بروسيا . والمشهد عبارة عن حانة يمتلكها تيخون. على اليمين توجد طاولة الحانة ورفوف عليها زجاجات الخمر . داخل الحانة باب يؤدي إلى الخارج ، معلق عليه من الخارج فانوس أحمر صغير يضاء بالزيت . الأرضية والمقاعد القريبة من الحائط مشغولة عن آخرها بالمتدينين والمسافرين. وكثير من هؤلاء الذين ليس لديهم مكان غفوا وهم جالسون . الوقت متأخر . عند رفع الستار يسمع صوت دوي الرعد ويشاهد وميض البرق عبر الباب .

I

يقف تيخون خلف طاولة الحانة . ويضطجع فيديا ممدداعلى إحدى المقاعد الطويلة مستندًا على أحد مرفقيه وهو يعزف بهدوء على الهارمونيكا . بالقرب منه يجلس بارتسوف، مرتديا ثيابًا صيفية رثة. وعلى الأرض بالقرب من المقاعد الطويلة يجلس كل من سافا ، نازيروفنا وييفيموفنا.

ييفيموفنا : (مخاطبة نازيروفنا) . من فضلك يا أماه ، ادفعى هذا العجوز ! يبدو أنه قد أسلم الروح .

نازيروفنا : (ترفع من على سافا طرف الثوب الذى يرتديه) . أيها المؤمن ، أيها المؤمن! هل أنت ما زلت على قيد الحياة أم فارقتها؟

سافا : لماذا فارقت الحياة ؟ إننى على قيد الحياة يا أماه (ينهض مستندًا على مرفقه) غطى قدمي من فضلك أيتها العجوز! نعم هكذا، القدم اليمنى أكثر ، أيوه كده يا أماه ، أعطاك الله الصحة والعافية .

نازيروفنا : (وهى تغطى قدم سافا) : نَمْ ، يا أبتِ !

سافا : ما هذا الحلم الذى رأيته هنا ؟ كان من الممكن تحمل هذا العذاب لو كان هناك صبر ، لست بحاجة إلى النوم ، فالمذنب لا يهنأ بالسكينة . ما هذه الضوضاء يا عزيزتى المؤمنة؟

نازيروفنا : الله يرسل عاصفة رعدية ، وتعوى الريح ، وتهطل الأمطار بغزارة ، تهطل بعنف . وتصطدم بالسطح وتنقر على زجاج النوافذ وكأنها حبيبات صغيرة من البازلاء . هل تسمع؟ شيء رهيب لا يصدق فقد انفتحت السماء بوابل من الأمطار....

يسمع دوى الرعد

يا قدوس ، يا قدوس ، يا قدوس.....

فيديا : يدوى الرعد ، ويزأر ، ويحدث ضجيجا ، ليس له نهاية ! ممم .... بالضبط وكأن الغابة تصدر ضجيجًا ... ممم ... الريح تعوى كالكلب ... (سرت قشعريرة فى بدنه) أشعر بالبرد! فالثياب مبتلة ، على الأقل لابد من أخذها وعصرها، الأبواب مفتوحة على مصرعيها... (يعزف بصوت خافت على الهارمونيكا) لقد ابتلت آلتى الموسيقية - الهرمونيكا ، لذا يا أتباع الكنيسة الأرثوذكسية ، لن تكون هناك موسيقى ، ولو كانت آلة الهرمونيكا فى حالة جيدة لكان من الممكن العزف عليها ولقدمت لكم حفلة رائعة، تسعدون بها ، لدرجة أنه من الممكن أن تهوى فيها القبعات من شدة الفرح والمرح ! شيء رائع! كان من الممكن أن أعزف ما تطلبونه مثل رقصة الكادريل[2] أو البولكا[3] ... أو أى مقطع من أغان روسية ساخرة مضحكة ... ففى استطاعتى أن أقدم ذلك كله . فى المدينة ، وقفت فى أروقة جراند أوتيل ، واسترسلت فى العزف على آلة الهارمونيكا وعزفت جميع النوتات الموسيقية ، ولكن لم أتكسب أية نقود. وأستطيع أيضًا العزف على الجيتار.

يسمع صوت من أحد أركان المكان : «رجل أحمق يقول كلاماً سخيفاً» .

فيديا : إننى أسمع كلام شخص مغفل .

وقفة قصيرة

نازيروفنا : (تقول لسافا) عليك الآن ، أيها العجوز ، أن ترقد فى مكان دافئ وتدفئ قدميك .

وقفة قصيرة

(تدفع سافا) . أيها الرجل العجوز ، أيها الرجل التقى ، أخ ، هل تتأهب للموت؟

فيديا : ليتك يا جدى لو احتسيت قليلاً من الفودكا ، فحين تشربها سوف تدفئ بطنك وعندئذ ستريح قلبك قليلاً. اشرب يا عزيزى!

نازيروفنا : كُفَّ عن هذه البجاحة أيها الشاب ! . قد يلفظ الشيخ العجوز أنفاسه الأخيرة و يحاول أن يكفِّر عن ذنوبه ، وأنتِ تقول مثل هذه الكلمات وتتحدث عن الهارمونيكا... كفاك حديثًا عن الموسيقى! يا لك من قليل الحياء!

فيديا : ما شأنك أنتِ وهذا العجوز؟ إنه واهن ، وأنت... يا لها من غباوة ستات ... ولأخلاقه الحميدة لا يستطيع أن ينطق بكلمة واحدة سيئة ، أما أنت ففرحانه ، ومسرورة ، وهو يستمع إليك أيتها الحمقاء... فلتنم يا جدى ، ولا تُصغ إليها! دعها تثرثر ، أما أنتِ فلا تبالى . إنه كلام ستات فهى كالمكنسة الشيطانية التى تكنس من الدار الصالح مع الطالح. فلا تبالى ... (يضرب كفًا على كف) . كم أنت يا أخى ، يا عزيزى ، نحيف! يا للهول ! إنك تشبه هيكلاً عظميًا لشخص ميت! ليس عندك أى حيوية ! أخ ، وفى الحقيقة ، ألا تشعر بأنك تحتضر؟

سافا : لمَ أموت؟ ارحمني يا الله ، وبألا أموت سدى ... إنني أتألم قليلاً وبمساعدة الرب سوف تتحسن صحتي ... وأقف على قدمي ... ولن تسمح السيدة العذراء بأن أقضي نحبي على أرض غريبة... بل أموت في داري ...

فيديا : هل أنت قادم من مكان بعيد؟

سافا : أنا من فولاجدا من مدينة فولاجدا[4] نفسها ... رجل بسيط وعلى قد حالي من هناك ...

فيديا : وأين فولاجدا هذه؟

تيخون : مقاطعة ... بعد موسكو ...

فيديا : آه ، آه ، آه... أيها الرجل الملتحي !... ماذا جاء بك إلى هنا! هل جئت ماشياً على الأقدام؟

سافا : نعم سيراً على الأقدام . يا عزيزي. كنت عند دير تيخون زادونسكي[5] ، وسأذهب إلى الجبال المقدسة ... ومن الجبال المقدسة ، بمشيئة الرب ، في أوديست ... ومن هناك يقولون وبأرخص الأسعار يرسلونهم إلى بيت المقدس .... كما يقولون بواحد وعشرين روبلاً ...

فيديا : وهل ذهبت إلى موسكو؟

سافا : ياه ! حوالي خمس مرات...

فيديا : أهي مدينة جميلة؟ (بدأ يدخن) أتستحق زيارتها؟

سافا : هناك أماكن مقدسة كثيرة ، يا عزيزى ... وحيثما توجد أماكن مقدسة ، فالجمال يعم كل مكان ...

بارتسوف : (يقترب من طاولة الأطعمة والمشروبات مخاطبًا تيخون) مرة أخرى أتوسل إليك! . أعطنى كأسًا! . أعطنى ، أستحلفك بالسيد المسيح! .

فيديا : أهم شيء فى المدينة ، أن تكون نظيفة ... فإذا كان هناك تراب ، وانهمر المطر فسيتكوَّن الوحل ، فلابد من نظافتها . وأن تكون هناك منازل عالية... ومسرح ، وبوليس ... وحوذيون ، إللى ... أنا عشت فى المدن ، وأفهم هذا جيدًا .

بارتسوف : أعطنى كأسًا صغيرًا ... ولو هذا الكأس الصغير ... . وعلى الحساب! . وسوف أدفع لك فيما بعد! .

تيخون : كفى .

بارتسوف : أتوسل إليك ! اعمل معروفاً ! .

تيخون : ابتعد عن هنا ! .

بارتسوف : أنت لا تفهمنى ... أرجوك افهمنى ، أيها الجلف ، إن كان فى رأسك القروية المتحجرة هذه ولو ذرة من العقل ، لعلمت إننى لا أتوسل إليك ، ولكن كل ما بداخلى من أحشاء هو الذى يتوسل إليك! فإدماني هذا هو الذى يتوسل إليك!. هلا فهمتنى ! .

تيخون : لا حاجة لنا فى أن نفهم ... ابتعد من هنا ! .



"بارتسوف" يطلب من "تيخون" كأساً صغيراً من الخمر

بارتسوف : عليك أن تفهم ، إذا لم أتناول كأسا من الخمر الآن ، وإن لم أشبع رغبتى ، من الممكن أن أرتكب جريمة. ويعلم الله وحده ، ما الذى أستطيع عمله ! . ألم تدرك ، أيها الجلف، كم من أناس سكارى قد ترددوا على حانتك ، وحتى الآن لا تستطيع أن تستوضح حقيقة هؤلاء الناس؟ إنهم مرضى!. لا يهمهم إذا كبّلتهم بالأغلال ، أو ضربتهم، أو ذبحتهم ، ولكن الأجدى لهم أن تعطيهم كأسا من الفودكا! . أكون ممنونا لك ! فاعمل معروفًا! أتضرع إليك ! . يا إلهى ، كيف أتوسل إليك! .

تيخون : تدفع فلُوساً ، ستحصل على الفودكا .

بارتسوف : من أين آتى لك بالنقود؟ أنفقت كل ما عندى من مال على شرب الخمر ! . أفلست تمامًا! . ما الذى أستطيع أن أعطيهُ لك؟ الشيء الوحيد الذى تبقى عندى هذا البالطو، ولكن لا أستطيع أن أعطيه لك ... فهو يغطى جسمى العريان ... أتريد أن تأخذ قبعتى الشتوية هذه؟ (يخلع القبعة ويعطيها لتيخون) .

تيخون : (فاحصًا القبعة) . ممم ... كل قبعة تختلف عن الأخرى.... ثقوب كثيرة وكأنها منخل ...

فيديا : (يضحك) . قبعة النبلاء! . ترتديها وتمشى بها فى الشارع وأمام المودمازيلات تخلعها للتحية وتقول لهن: تحياتى ، وداعًا!. كيف حالكن؟

تيخون : (يعيد القبعة لبارتسوف) . قائلاً : لا تلزمنى حتى ولو بدون مقابل. دى زبالة .

بارتسوف : ألم تعجبك؟ فى هذه الحالة ، أعطنى كأسا على الحساب!. وعند عودتى من المدينة ، سآتى لك بقطعة من فئة خمس كابييكات ـ المدين لك بها ! . عندئذ ابلع هذه الكابييكات التى سوف تكون غصة فى حلقك. ويارب فى هذه الساعة تقف فى زورك ! (يكح) . إنى أكرهك ! .

تيخون : (يضرب بقبضة يده على الطاولة) . لماذا تضايقنى بالحاحك؟ أى إنسان أنت؟ ألست بنصاب؟ لماذا جئت إلى هنا؟

بارتسوف : أريد كأسا من الفودكا! . بالنسبة لى شخصيا فأنا لا أريد ، ولكن داء الإدمان الذى يسيطر على هو الذى يريد! . افهمنى!.

تيخون : لا تخرجنى عن طورى! . سألقى بك فى الحال خارج الحانة فى البرية! .

بارتسوف : ماذا علىَ أن أفعل؟ (يبتعد عن الطاولة) . ما الذى يجب علىَ أن أفعله ؟ (يستغرق في التفكير)

ييفيموفنا : هذا الشيطان الملعون يعكر صفو حياتك. وأنت يا سيدى لا تلقى له بالاً . وحتى عندما يهمس فى أذنيك: « اشرب... اشرب !» . فقل له : « لن أشرب!. لن أشرب!» . دعنى وشأنى! .

فيديا : ربما يكون فى رأسك ، فى .... ترو – تو – تو –تو .... تتضرر جوعا! (وهو يقهقه) . يا لك من إنسان غريب الأطوار ، يا سعادة النبيل . هيا أرقد ونمْ ! لماذا تقف هكذا مثل خيال المآتة وسط الحانة! . فأنت لست فى بستان ! .

بارتسوف : (بغضب) اخرس ! لم يسألك أحد ، يا حمار ! .

فيديا : تتكلم ، وتتكلم ، وفى النهاية لم تقل شيئًا! . رأينا كثيرين من أمثالك! . وهم يتسكعون هنا على الطريق العام. أما بخصوص موضوع الحمار ، فسوف أبرحك ضربًا على أذنيك ، حتى تعوى أشد من الريح. فأنت اللى حمار! . وشخص كريه! .

وقفة قصيرة

سافل! .

نازيروفنا : أيها الشيخ عليك بالدعاء متضرعًا للرب ، حتى تسلم الروح، أما هم فإنهم عديمو التقوى يشاكس بعضهم بعضًا ويقولون كلامًا مشينًا... يا لهم من قليلى الحياء! .

فيديا : أما أنتِ ، أيتها العجوزة الشمطاء ، ما دمت أنتِ موجودة في الحانة ، لا داعى إلى الولولة ، فللحانة تقاليد يجب اتباعها.

بارتسوف : ما الذى يجب علىَ أن أفعله؟ ما العمل؟ كيف أستطيع إقناعه؟ وبأى لغة بليغة أستطيع أن أتحدث بها؟ (مخاطبًا تيخون) لقد تجلط الدم فى صدرى! يا عم تيخون! (يبكى). يا عم تيخون ! .

سافا : (يتأوه) . إن قدمى تؤلمنى ، كما لو كانت رصاصة ملتهبة قد أصابتها ... ماذا أفعل أيتها الأم المؤمنة العزيزة؟

ييفيموفنا : ماذا بك يا أبتِ ؟

سافا : مَنْ ذا الذى يبكى ؟

ييفيموفنا : إنه السيد النبيل .

سافا : اطلبى من السيد النبيل ، أن يذرف الدمع ، كى أستطيع العودة إلى فولاجدا وأموت هناك . فالصلوات التى تصاحبها الدموع تلقى الرضا والقبول عند الرب .

بارتسوف : أنا لا أصلى أيها الشيخ ! . إن نفسى منقبضة للغاية ، ليست هذه دموع ، فقلبى ينزف دمًا ، (يجلس عند قدمى سافا) يا له من ألم ! على أية حال لن تفهموا ! . وأنت أيها الشيخ ، لا تدرك الأشياء على حقيقتها بعقلك الضيق. يا لكم من أناس جهلاء!

سافا : وأين نجد هؤلاء المتنورين؟

بارتسوف : لو كان هناك أناس متنورون يا أبتِ ... لفهموا ... ! .

سافا : موجودون ، موجودون ، يا ولدى ... كان هناك أناس قديسون متنورون .... كانوا على علم بكل المشاكل... ودون أن تتحدث إليهم ، تجدهم على الفور يفطنون ... وإذا ما نظروا إلى عينيك ـ فطنوا بما تريد ... . وبعد فهمهم لك تشعر بالسكينة ... وتحس بأن شيئًا لم يكن ـ وكأنها انتزعت باليد! .

فيديا : وهل رأيت أنت مثل هؤلاء القديسين؟

سافا : حدث بالفعل ، أيها الفتى ... ففى عالمنا يوجد أنواع شتى من البشر . فمنهم الخطاءون ، كما يوجد أيضًا خُدام الرب.

بارتسوف : لا أفهم شيئًا ... (ينهض بسرعة) لابد أن يفهموا ، هل أمتلك الآن عقلاً لذلك؟ عندى ميل ورغبة للشرب! (بسرعة يقترب إلى الطاولة) . يا تيخون ، خد البالطو! . هل تفهم؟ يريد خلع البالطو (من على جسمه) . ها هو البالطو ...

تيخون : وما الذى تحت البالطو؟ (يتفرس بارتسوف ما تحت البالطو). أنت عارى الجسم تمامًا؟ لا تخلع البالطو : لن آخذه ... ولن أتحمل هذا الوزر .

يدخل ميريك

II

نفس الشخصيات بالإضافة إلى ميريك

بارتسوف : حسناً ، سوف أتحمل أنا الوزر ! موافق؟

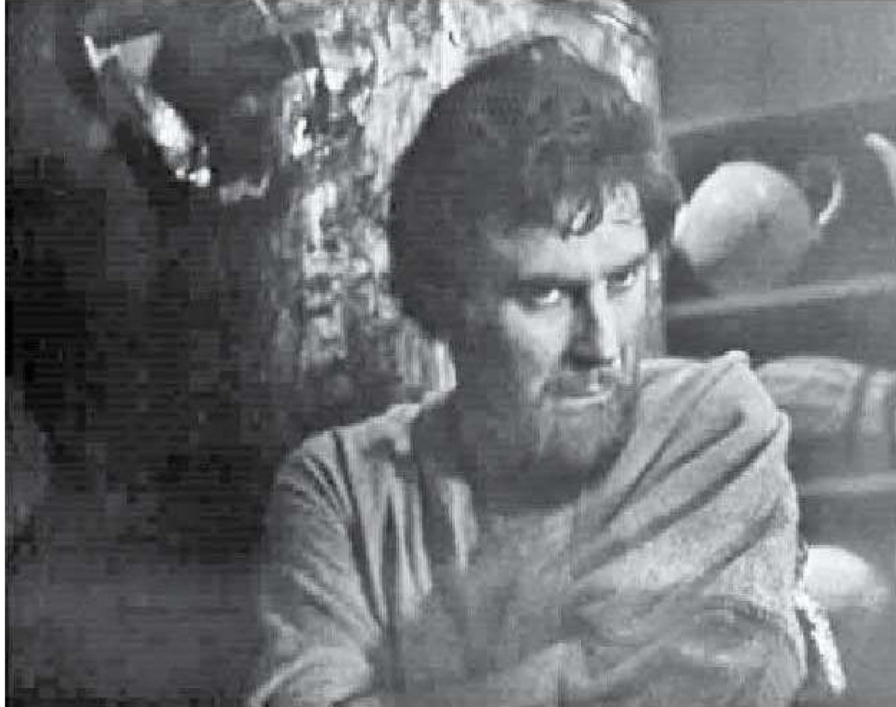
ميريك : (فى صمت يخلع الثوب الخارجى ويظل بالقميص الداخلى. توجد بلطة تحت الإزار ، الذى يشد به خصره): ينتاب الناس الشعور بالبرد ، أما الشخص الأخرق فاقد الأقارب دائماً يشعر بالحر ويتصبب عرقاً (يضع البلطة على الأرض و يخلع قميصًا آخرًا) وفى الوقت الذى تنتشل فيه قدمك من الوحل يتصبب منك سطلا من العرق . وما تكاد تنتشل قدمك من الطين ، حتى تغرز الأخرى فى الوحل .

ييفيموفنا : إلى هذه الدرجة ... يا عزيزى ، ألم يَقِل هطول المطر بعد ؟

ميريك : (وقد صوب نظرة إلي ييفيموفنا) . أنا لا أحب الحديث مع الستات .

وقفة قصيرة

بارتسوف : (موجهًا كلامه إلى تيخون) . سوف أتحمل أنا الوزر ! . أتسمعنى أم لا؟



"إيجر ميريك"

تيخون : لا أرغب فى سماع أى شيء ، دعنى وشأنى! .

ميريك : خيَّم السواد على الدنيا ، وكأن أحدًا قد دهن السماء بالقطران، لدرجة أننى لم أر أبعد من أرنبة أنفى. والمطر يضرب فى وجهى وكأنه ثلج أو صقيع (يأخذ بين ذراعيه الثياب والبلطة) .

فيديا : إن هذا الجو مناسب جدًا لأخيكم النصاب . ففى الوقت الذى فيه يختبئ الحيوان المفترس فهو عيد لمثل هؤلاء المهرجين .

ميريك : من هذا الشخص الذى تفوه بهذه الكلمات؟

فيديا : حذارى ... لا يتدخل أحد فيما لا يعنيه .

ميريك : وهو كذلك ... سآخذ كلامك فى الحسبان . (وهو يقترب من تيخون) . مرحبًا ، يا صاحب الوجه الممتلئ! . أنت مش فاكرنى؟

تيخون : إذا كنت أتذكر كل السكارى المترددين على الحانة بالطريق العام ، فأنا أحتاج إلى عشرة أدمغة .

ميريك : أنظر إلىَّ ...

وقفة قصيرة

تيخون : هلاَّ أنا عرفتك ، يا للعجب ، عرفتك من عينيك ! . (يمد يده للمصافحة) . ألست أنت أندريى بوليكاريف؟

ميريك : كنت أندريى بوليكاريف ، أما الآن اعتبرنى إيجر ميريك

تيخون : لمَ هذا؟

ميريك : أرسل الرب لى هوية منذ شهرين ، تبين أننى أحمل لقب عائلة ميريك .

يدوى الرعد

بوم ... فليدوى الرعد ، فأنا لم أخف ! . (ينظرحوله) . هل يوجد هنا كلاب صيد؟

تيخون : كلاب صيد إيه . لا يوجد سوى براغيث وناموس ... شعب وديع ... كلاب الصيد والحراسة تنام الآن وتتمطع على ريش النعام ... (بصوت عال) . يا إخوانى يا أرباب الكنيسة الأرثوذكسية ، خذوا حذركم من جيوبكم ، وثيابكم البالية . وإلا ستندمون على ضياعها !. فقد وصل رجل شريرا!. سيقوم بسرقتكم! .

ميريك : إذا كان معكم فلوس فحافظوا عليها ، أما فيما يتعلق بثيابكم ، فلن ألمسها . فهى لا تلزمنى .

تيخون : إلى أين يحملك الشيطان؟

ميريك : إلى كوبان[6] .

تيخون : ياه !

فيديا : إلى كوبان؟ والله؟ (ينهض) . إنها أماكن ذائعة الصيت. منطقة مثل هذه ، يا إخواني ، لا يمكن أن ترونها حتى فى المنام ، ولو نمتم ثلاثة أعوام. إنها بلاد رحبة واسعة . يقولون، إنَّ بها طيوراً للصيد، وأيضاً حيوانات متوحشة من جميع الأنواع . - يا إلهى! والأعشاب الخضراء تنمو على مدار العام ، وهناك الشعب - يعيش فى حب ووئام ، لديهم أراضى زراعية زائدة لا يجدون مَنْ يوزعونها عليهم!. ويقولون إنَّ المسئولين هناك ... وكما حكى لى أحد الجنود الأعزاء أخيراً منذ أيام قليلة ... بأنهم يعطون لكل شخص مائة هكتار . إنهم لمحظوظون ، يشهد الله على ما أقول .

ميريك : الحظ ... والسعادة تمر من وراء ظهورنا ولا نراها . لما تشوف حلمة ودنك لن ترى السعادة ... يا لها من بلاهة (يتفحص المقاعد ونزلاء الحانة) . كأنها عنبر مساجين ... يا له من فقر مدقع! .

ييفيموفنا : (مخاطبة ميريك) . كم لديك من عيون حاقدة! ... تسكن فى قلبك نزعة عدوانية ... لا تنظر إلينا هكذا ...

ميريك : صحيح ، يا لهم من فقراء ! .

ييفيموفنا : أدر وجهك! . (وهى تدفع سافا) . يا سافوشكا[7] ، يوجد شخص شرير يحدق النظر فينا . يكدر حياتنا ، يا عزيزى. (ثم تخاطب ميريك قائلة :) . قلت لك أدر وجهك ، أيها الأفعى !

سافا : دعيه وشأنه ، يا أماه ، دعيه وشأنه ... فإن الرب لن يسامحه.

ميريك : حسنا ، أتباع الطائفة الأرثوذكسية ! . (وهو يهز كتفيه). سكون ! . لم تناما حتى الآن يا حمقى! لماذا تلتزمان الصمت؟

ييفيموفنا : أدر عينيك ! . أدر عينيك عن هذا الشيطان المتغطرس .

ميريك : اخرسى أيتها العجوز الشمطاء ! أنا لست بشيطان متغطرس، كنت أود أن أشاركم أحزانكم بالرقة والكلمة الطيبة. شعرت بالأسى والحزن تجاهكم عند رؤيتى لكم وأنتم تنكمشون من البرد مثل الذباب - يا للأسف على ما حدث!. كنت أود أن أقول كلامًا طيبًا، كم أنا فى حاجة إلى الحنان، أما أنتم فأدرتم وجوهكم الدميمة ! . ما هذا؟ لا داعى (يقترب من فيديا) وأنت أصلاً بتشتغل فين ؟

فيديا : أنا أعمل هنا فى مصانع خامون المحلية. أعمل فى مصنع الطوب .

ميريك : انهض من هنا.

فيديا : (ينهض). وبعدين؟

ميريك : انهض . انهض من هنا نهائيًا ، فسوف أرقد أنا هنا ...

فيديا : يعنى إيه ... هل هذا مكانك ولا إيه؟

ميريك : أيوه مكانى. اذهب وارقد هناك على الأرض! .

فيديا : مُز ، يا عابر السبيل ... أنا لم أخف ...

ميريك : بسرعة ... يا للأ ، امش هناك ، ولا تنطق بكلمة ! . وإلا سوف تندم على ذلك ، إنسان غبى .

تيخون : (مخاطبًا فيديا) . أيها الشاب لا تعارضه . لا تُلقِ له بالاً .

فيديا : بأى حق ، تتكلم معى هكذا؟ أتظن عندما تحملق بعينيك الضيقتين هذه فىَ ، أن الخوف انتابنى! (يلملم أمتعته بين ذراعيه ويذهب لتجهيز الفراش للنوم على الأرض) . يا لك من شيطان! . (ينام ويغطى رأسه).

ميريك : (يجهز لنفسه الفراش للنوم على الدكة) . بقى أن تعرف ، بأنك لم تر بعينك حتى الآن الشيطان الذى سميتنى به ... ، إن الشياطين ليست على هذا النحو (يرقد ويضع بجانبه البلطة). نامى يا بلطتى الحبيبة ، هيا دعينى أغطيك بإحكام يا بلطتى الصغيرة .

تيخون : من أين استوليت عليها؟

ميريك : سرقتها ... سرقتها ، وها أنا الآن أوليها كل اهتمامى كما لو كانت مخلة مزخرفة بالرسوم: ويؤسفنى أن أتخلص منها فلا يوجد مكان كى أخفيها فيه . فهى كالزوجة المنفرة ... صحيح ... (يتدثر بالغطاء) . ليست الشياطين ، يا أخى ، على هذا النحو ...

فيديا : (مطلاً برأسه من تحت الغطاء) . ما الشياطين التى تقصدها؟

ميريك : إنها كالبخار ، كالشبح ... هكذا تنفخ (وينفخ) . هكذا هى ، ولكن لا تستطيع أن تراها .

يُسمع صوت من أحد الأركان يقول: « تستطيع أن تراها، إذا جلست تحت المسلفة[8] »

ميريك : أنا جلست ، ولم أر شيئًا ... الستات الفلاحات كاذبات، والفلاحون أغبياء .. . إنك لا ترى شيطانًا ، ولا عفريت الغابة ، ولا جنا ...فالعين لم تُخلق لترى كل شيء ... فعندما كنت طفلاً صغيرًا كنت أذهب ليلاً عمدًا إلى الغابة كى أرى عفاريت الغابة ... وأظل أصرخ ، وأصرخ، وكما يقولون إنَّ هناك شبحًا ما ، فأنادى على عفريت الغابة دون أن يطرف لى جفن: فكانت تتراءى لى أشياء تافهة ، لكنى لم أر عفاريت الغابة هذه . وكنت أذهب إلى الجبانة ليلاً ، وأتمنى أن أرى أشباح الموتى ، فلم أر شيئًا ـ فالستات الفلاحات تكذبن . إننى رأيت كل أنواع الحيوانات المتوحشة ، أما بالنسبة لما هو أكثر رعبًا ، فسوف تذهب كل محاولاتك سدى ولن ترى عيناك شيئًا ...

يسمع صوت من أحد الأركان يقول: « لا تقل هذا فإنه يحدث ، ومن الممكن أن تراه... فهناك فى قريتنا قد ذبح فلاح خنزيرًا ... وعندما جاء يتخلص من أحشاء الذبيحة ، ظهر العفريت من بينها »

سافا : (ينهض قليلاً) . يا جماعة ، لا تذكروا الشياطين... فهذا إثم، يا أعزائى! .

ميريك : آه ... يا أبا لحية شيباء! أيها الهيكل العظمى! . (يضحك) . فليس من الضرورى أن تذهب إلى الجبانة ، فأشباحك تخرج من تحت الأرض وتقرأ لك المواعظ ... إنه إثم ... فلا يمكن وعظ الناس بفكركم الغبى ! . يا لكم من أناس جهلة وتافهة... (يشعل الغليون) . كان أبى رجلاً فلاحًا ، وأيضًا كان يحب أن يُقدِّم المواعظ . وذات مرة سرق جوالاً مليئًا بالتفاح من عند القس ، وأحضره لنا، ثم أخذ يوعظنا: «انظروا يا أولادى لا تأكلوا من هذا التفاح حتى يأتى عيد سباس[9] ، لأن هذا إثم...» فأنتم مثله تمامًا ... فأنتم لا تعرفون مَنْ هو الشيطان إنما من الممكن أن تتصوروه .... فعلى سبيل المثال ، خذوا هذه العجوز الشمطاء (وهو يشير إلى ييفيموفنا) فقد أدركت بأن الشيطان يسكن فى داخلى ، إلا أنها قد أسلمت روحها للشيطان خمس مرات تقريبًا فى اليوم طول حياتها بسبب الحماقات النسائية .

ييفيموفنا : تفو، تفو، تفو عليك ...إحنا معانا قوة الصليب (تخفى وجهها بكفيها) سافوشكا!

تيخون : لماذا تُخيفُهم؟ فرحت!

الباب يصفق من شدة الرياح

: باسم اليسوع عيسى المسيح... ها هى الرياح قد هبت !

ميريك : (وهو يتمطع)، آه، تحبى أن أريك قوتى!

الباب يصفق من شدة الرياح

تحب أن تقيسى قوتى بقوة الريح هذه ! . فأنا لا أستطيع فقط أن أنزع الباب ، ولكن فى استطاعتى أن أقتلع الحانة بأكملها من جذورها ! . (ينهض واقفا ثم يرقد) . أشعر بالكآبة ! .

نازيروفنا : عليك بإقامة الصلوات ، أيها المغفل ! . ما الذى يقلقك؟

ييفيموفنا : دعيه وشأنه ، تبا له ! . مرة أخرى ينظر إلينا (وهى تنظر إلى ميريك) لا تنظر إلينا هكذا ، أيها الشرير !. فعيناك هذه ، كأنها عيون شيطان وقت صياح الديك عند الفجر ! .

سافا : دعيه ينظر أيتها المؤمنات ! . واصلاً تأدية الصلاة ، فعيناه لن تزعجنا...

بارتسوف : لا ، ليس فى استطاعتى أن أتحمل! (وهو يقترب من الطاولة). فقد أصبح هذا فوق طاقتى! اسمعنى يا تيخون ، آخر مرة أتوسل إليك ... ممكن حتى ولو نصف كأس! .

تيخون : (يهز رأسه رافضاً) . الفلوس أولاً ! .

بارتسوف : يا ربى ، ألم أقل لك من قبل ! . لقد انفقت كل ما أملك على شرب الخمر ! . من أين آتى لك بالنقود ؟ هل سيصيبك الإفلاس إذا ما أعطيتنى على الحساب قليلاً جدًا من الفودكا؟ فإن كأسًا من الفودكا بالنسبة لك لا يساوى خردلة ، أما بالنسبة لى فسوف يريحنى من الآلام . إنى أتألم! ليست هذه نزوة ، بل معاناة! . افهمنى!

تيخون : اذهب وقُل هذا الكلام لشخص آخر وليس لى ... فلتذهب هناك وتطلب من أتباع العقيدة الأرثوذكسية ، لعلهم يلبون طلبك إذا أرادوا من أجل اليسوع المسيح ، أما أنا فمن أجل اليسوع المسيح من الممكن أن أعطيك خبزًا فقط .

بارتسوف : اذهب أنت واطلب من هؤلاء الصعاليك ، أما أنا ... فلا تؤاخذنى!. فأنا لا أريد ابتزازهم! . وأنا لست بهذا الشخص الجشع! . أنت فاهم؟ (يضرب بقبضة يده على الطاولة) لست أنا بهذا الشخص !

وقفة قصيرة

: ممم ... انتظروا لحظة من فضلكم ... (ويلتفت إلى المؤمنين العابدين) . لدى فكرة يا إخواني يا أتباع الكنيسة الأرثوذكسية هلا تبرعتم بخمس كابييكات فقط !. أحشائى تتوسل إليكم. أنا إنسان مريض! .

فيديا : عجبًا لك ، تبرعوا ... يا لك من نصاب ... ألا تريد بعضًا من الماء؟

بارتسوف : كيف أتوسل إليكم!. كيف أتوسل! لا داعى ! لا يلزمنى أى شيء ! ... كان ذلك مجرد مزحة من جانبى ! .

ميريك : لا تلح عليه ، أيها السيد النبيل ... يبدو أنه من سلالة عرق دساس معروف بالشح... انتظر لحظة ، أنا وضعت فى مكان ما قطعة من فئة خمس كابييكات ... سوف نشرب مناصفة كأساً سوياً... (ينبش فى جيوبه) . يا للشيطان ... لابد وأن تكون قد استقرت فى مكان ما ... كانت ترن هنا ، منذ وقت قريب ... مافيش ، مافيش ... مافيش يا أخى! حظك كده!

وقفة قصيرة

بارتسوف : إن لم أحتس رشفة من الخمر ، فسوف أرتكب جريمة ! . أو أقدم على الانتحار ... ماذا على أن أفعل ، يا الله ، (ينظر صوب الباب) . هل أخرج؟ وأهيم على غير هدى فى جنح الظلام الدامس...

ميريك : ماذا بكن ، أيتها المتدينات ، المؤمنات ، لماذا لا تقدمان له الموعظة؟ أما أنت ، يا تيخون لماذا لم تلق به فى الشارع؟ يبدو إنه لم يدفع لك حق المبيت. اطرده شر طردة . آه ! . فى هذه الأيام أصبحتم شعباً قاسى القلب. ليس فى قلبه وداعة ، ولا طيبة ... شعب عديم الشفقة! . إنسان يغرق ، فيقولون له بصوت عال: «اغرق وبسرعة ، فليس لدى أحد وقت للنظر إليه ، فالكل مشغول بعمله» . أما عن أحد ما يلقى له بطوق النجاة لإنقاذه فلا جدوى ... لأن الحبل عندهم يساوى نقود...

سافا : لا تدينهم ، أيها الرجل الطيب! .

ميريك : اسكت أيها الذئب العجوز ! . أنتم شعب عديم الشفقة! ظالم! من الممكن بيع ضمائركم! (وهو يخاطب تيخون). تعال إلى هنا ، اخلع عنى حذائى ! . حالا وبسرعة ! .

تيخون : انظروا كيف تملكه الغضب ! (وهو يضحك) فظيع ! .

ميريك : تعال إلى هنا ، ماذا قلت لك! . حالاً وبسرعة! .

وقفة قصيرة

أسمعت ما قلته لك ؟ هل أخاطب أنا الحائط (ينهض) .

تيخون : حاضر ، حاضر ... ها يحصل ...

ميريك : إننى أرغب ، أيها الجشع فى أن يكون عندى شخص شبيه لك يخلع عن صعلوك فقير مثلى الحذاء .

تيخون : حاضر ، حاضر ... لا تغضب ! اذهب وخذ كأسا من الفودكا... واحتسيه ! .

ميريك : يا ناس ، هل هذا ما طلبته منه أن يقدم لى كأسا من الفودكا ، أم أن يخلع عنى الحذاء؟ هل أخطأت في شيء ما؟ أليس هذا ما قلته ؟ (مخاطبا تيخون) . من الواضح أنك لم تسمع؟ سأنتظر لحظة ، لعل وعسى أن تسمع .

يسود بعض الهرج والمرج بين المتدينين وعابرى السبيل .

يقفون ويتطلعون إلى كل من تيخون وميريك . صمت وترقب .

تيخون : تبا لك ، أى شيطان جاء بك إلى هنا (يخرج من وراء الطاولة). أي سيد هذا قد ظهر هنا ! . ماذا علىَ أن أفعل غير ما تريد؟ (وهو يخلع الحذاء عن ميريك) . إنك من نسل أشرار .

ميريك : أيوه كده . ضع الحذاء على مقربة منى ... أيوه كده ... يا للا بقى من هنا! .

تيخون : (يذهب وراء الطاولة بعد أن خلع حذاء ميريك) . إنك تحب أن تستهزئ جدًا بالناس! . ولو حاولت أن تسخر منى مرة أخرى، فسوف ألقى بك فى الحال خارج الحانه! . مفهوم (ثم يقول لبارتسوف الذى يقترب منه) . هو أنت تانى؟

بارتسوف : ما رأيك ، لعل من الممكن أن أعطيك شيئًا مصنوعًا من الذهب ... فلتسمح لى ، إذا رغبت ، فمن الممكن أن أعطيها لك ...

تيخون : لماذا ترتعد خوفًا هكذا؟ تكلم بوضوح! .

بارتسوف : على الرغم من أننى أعتقد ، أن هذا شيء من السفالة والدناءة من جانبى ، ولكن ماذا عساى أن أفعل؟ أنا قررت أخيرًا اللجوء إلى هذا الشيء الدنئ ، وقد يتهموننى بأننى فاقد للأهلية القانونية ... إلا أننى على يقين أن المحكمة سوف تبرئنى ... خذ هذا ، ولكن بشرط : أنْ ترده لى فيما بعد ، عند عودتى من المدينة . سأعطيه لك أمام شهود ... أيها السادة الأفاضل ، أنتم ستكونون شهودًا على هذا ! . (يخرج من عبه ، ميداليون[10] من الذهب) . ها هو ... كنت أود أن أنتزع منه الصورة ، ولكن لا يوجد مكان أضعها فيه : فإن كل جسمى مبلول تمامًا... ولكن ، إياك أن تستولى عليه بالصورة! وما أطلبه منك فقط ... ألا تلمس بأصابعك هذه ذلك الوجه ... أتوسل إليك... أنا يا عزيزى ، كنت فظا معك ... وغبيًا ولكن اعذرنى و ... لا تلمسها بأصابعك ... ولا تتطلع بعيونك إلى هذا الوجه ... (يعطى تيخون الميداليون) .

تيخون : (يتفحص الميداليون) . يبدو أنها ساعة مسروقة ... عظيم جدًا اتفقنا ، (وهو يصب الفودكا) . اشرب حتى تشبع ...

بارتسوف : عليك فقط ألا تلمسها بأصابعك ... يشرب ببطء ، وبوقفات متشنجة .

تيخون : (يفتح الميداليون) . ممم ... يا لها من امرأة حسناء ! ... مَنْ أين سرقت هذه؟

ميريك : أرنى إياها يا عزيزى! . (ينهض ويتجه إلى الطاولة) . أعطينى إياها كى أتطلع إليها ! .

تيخون : (يبعد يده جانبًا) إلى أين تتسلل؟ الق نظرة عليها وهى فى يدى !

فيديا : (ينهض ويتوجه إلى تيخون) . اعطنى أيضًا إياها كى ألقى نظرة عليها!

تقترب صوب الطاولة من كل جانب مجموعة من عابرى السبيل والمتسكعين .

ميريك : (يمسك بكلتا يديه يد تيخون ، التى تمسك بالميداليون ، وفى صمت ينظر إلى الصورة . ثم يصمت برهة) . يا لها من شيطانة جميلة. من طبقة النبلاء ....

فيديا : من النبلاء ... يا لها من وجنات ، ويا لها من عيون ... ابعدْ يدك هذه ، لا أرى ... وشعرها يصل حتى خصرها... صورة وكأنها إنسانة حية ! . وكأنها تتأهب للكلام ...

وقفة قصيرة

ميريك : إنها شخصية قوية مهلكة بالنسبة لإنسان ضعيف ، فهى تمتطيه ولها اليد الطولى (يلوح بيده) – وفى هذا نهايتك !

يسمع صوت كوزما يقول «يس ... قف يا مغفل»

يدخل كوزما

III

نفس الشخصيات بالإضافة إلى كوزما

كوزما : (يدخل) . أينما ذهبت سواء ماشيًا على الأقدام أو راكبًا ، فلابد وأن تمر بهذه الحانة الصغيرة . فربما تمر نهارًا على دار أبيك فلا تلاحظه ، أما هذه الحانة فإنك دائمًا تراها من على بعد مائة فيرست[11] ، حتى ولو فى ظلمة الليل الحالك . افسحوا الطريق يا إخوتى فى الرب ! خذ ! (يضرب بقطعة نقدية من فئة خمس كابييكات على الطاولة). ويطلب كوبًا أصليًا من الماديرا[12] وبسرعة ! .

فيديا : يا لك من شيطان طائش! .

تيخون : لا تلوح بيديك هكذا! فمن الممكن أن تصطدم بشئ! .

كوزما : (وهو يشرب) يا لها من أيادٍ ناعمة رقيقة مثل حبات السكر! كدت أفقدها من شدة البرد .

ييفيموفنا : كان الخوف يسيطر عليك ، يا رجل يا طيب ، إذا داهمتك ظلمة الليل فى الطريق . أما الآن الحمد لله ، ونعمة منه تجد على جانبى الطريق كثيراً من القرى ومساكن للفلاحين وكذا أماكن تقيك من تقلبات الجو ، لكن قبل ذلك لم يكن هناك مَنْ يقوم بالبناء! . كنت تمشى أكثر من مائة فيرست ولا تجد قرى ولا مساكن للفلاحين، ولا حتى تستطيع أن ترى قبضة يدك . فتضطر أن تنام على الأرض ...

كوزما : كم من السنوات ، أيتها السيدة وأنت تعانين فى هذه الدنيا؟

ييفيموفنا : في العقد الثامن ، يا عزيزى .

كوزما : في العقد الثامن! . هذا يعنى أنك تعديت الثمانين من العمر تقريبًا (وهو ينظر إلى بارتسوف) . إيه السعادة اللى أنا شايفها؟ (وهو يثبت نظره نحو بارتسوف) ـ السيد النبيل! .

يتعرف بارتسوف على كوزما ، ويتجه إلى ركن الحانة ويجلس على الدكة .

: مَنْ أرى ؟ سيمنْ سيرجييتش ! . هو حضرتك ولاّ لأ ؟ وإيه المناسبة اللى جاءت بك فى هذه الحانة ؟ هل هذا مكان يليق بحضرتك ؟

بارتسوف : أسكت ! .

ميريك : (محدثًا كوزما) هو ده مين؟

كوزما : ده الشهيد التعيس (يتوجه بالقرب من الطاولة وهو فى حالة عصبية) وفين؟ فى هذه الحانة ، يا للعجب ! . وفي ثياب رثة !. سكران! . كم أصابنى الذعر والفزع ، يا إخوانى... انزعجت... (وهو يهمس إلى ميريك بصوت خافت) . إنه سيدنا النبيل ... إنه صاحب الأملاك ، سيمنْ سيرجييتش، السيد النبيل بارتسوف ... انظر شكله عامل إزاى؟ لمَنْ يشبه الآن؟ يا سلام ... كيف وصل إلى هذه الدرجة من السكر ... هيا صب لى! . (يشرب) . أنا من قريته ، من قرية بارتسوفكا ، يمكن تكونوا سمعتوا عنها ، تبعد عن هنا بمائتى فيرست ، تابعة لمركز يرجوفسكى . كان أبوه يمتلك فلاحين أقنان ... واحسرتاه! .

ميريك : كان رجلاً غنيا؟

كوزما : كبير ...

ميريك : هل ضيع ثروة أبيه؟

كوزما : لا ، إنه القدر يا صديقى العزيز ... هذا السيد النبيل كان رجلاً غنيا كبيرًا ، لا يقرب الخمر ... (متحدثًا لتيخون). غالبًا ما كنت تراه ، وهذا ما كان يحدث ، عندما كان يسافر بالقرب من هذه الحانة إلى المدينة . تصاحبه خيول أرستقراطية ، نشيطة . ومَركبة فاخرة ـ من الدرجة الأولى! كان يمتلك خمس عربات تجر كل منها ثلاثة جياد ، يا أخى العزيز ... أتتذكر من حوالى خمس سنوات مضت ، كان مسافرًا على العبارة ميكيشينسك وبدل من أن يدفع خمس كابييكات ، دفع روبلاً ...ولم يطلب منى أو ينتظر باقى المبلغ على الإطلاق ... هذا ما كان يحدث بالضبط .

ميريك : يبدو وكأنه فَقَدَ عقله .

كوزما : هو لديه عقل ....إلا أن ما حدث له كان بسبب تخاذله!. وكثرة ما لديه من أموال . الأمر الأول ، يا شباب ، بسبب النساء... فقد عشق الحبيب الولهان واحدة من الحضر ، وخُيل له أنه لا يوجد أجمل منها على ظهر الأرض ... وقد أحبته حباً جماً. كانت من طبقة النبلاء. إنها لم تكن إنسانة فاجرة أو ما شابه ذلك ، ولكنها كانت إمرأة هوجاء... كثيرة الحركة! تلف وتدور! تخزر عينيها ، ودائمًا ما تضحك ، وتواصل الضحك طوال الوقت! . لا توجد ثمة أى عقل ... السادة النبلاء يعجبهم هذا النوع ، فهى تُعد ذكية في نظرهم، أما من وجهة نظرنا نحن الفلاحون - لابد من أخذها من يدها وطردها من الدار ... حسنًا ... استحوذت على إعجابه – ولتذهب إلى الجحيم حياة الترف، إذ كان يذهب معها هنا وهناك يقضون أطيب الأوقات، إلخ ... فتارة يقضون الليل على ظهر مركب ، وأخرى كانوا يذهبون إلى حفلات عزف البيانو ....

بارتسوف : لا تحْكِ لهم ، يا كوزما! . لماذا؟ ما لهم وحياتى الشخصية؟

كوزما : اعذرنى سيادتك ، يا صاحب السعادة ، لم أقل إلا قليلاً جدًا ... لقد حكيت لهم ، وسأرى ما رأيهم... حكيت لهم قليلاً جدًا ، لأننى انزعجت ... انزعجت للغاية . صب لى . (يشرب)

ميريك : (يتحدث همسًا) . وهل هى أحبته؟

كوزما : (يتحدث همسًا حتى يصل الصوت تدريجيًا إلى الكلام العادى) : كيف لا تحبه؟ السيد النبيل ليس حاجة تافهة... لابد أن تحبه حبذا أنه يمتلك آلاف الديسياتين[13]، أما بالنسبة للفلوس ، فعنده من المال ما لا يحصى ولا يعد... وبالنسبة لشخصيته ، فهو رجل وقور ، صاحب مقام رفيع ولا يقرب الخمر ... وكان أى موظف كبير فى الدولة ، يتعامل معه باحترام ويأخذه من يده ، قائلاً له : «كيف حالكم؟ مع السلامة ، على الرحب والسعة » كما أفعل معك الآن ... (يمسك ميريك من يده) . ذات مرة فى المساء وأنا أمر عبر حديقة السيد النبيل... يا لها من حديقة يا أخى ، ياه! . حديقة شاسعة ... فعندما كنت أسير خفية، وجدتهما يجلسان على مقعد صغير ويُقبّل كل منهما الآخر (ويمثل صوت القبلة) . وإذا قبلها مرة، قبلته هذه الحية مرتين ... وعندما كان يقبل يدها الصغيرة البيضاء، كانت تقبله هى ـ بكل حرارة ! . وتلتصق ، وتلتصق به هكذا ، كى تكون ... وتقول له أحبك يا سينيا[14]... ولكن سينيا، كإنسان شيطان ينتقل من مكان إلى آخر ويتباهى بالسعادة ...وبسبب تخاذله كان يعطى هذا روبلاً ، وذاك روبلين ... لدرجة أنه أعطانى نقودًا لشراء حصان. وأسقط ديون الجميع بكل سرور وفرح ...

بارتسوف : آه ! . لأى سبب تحكى لهم هذا؟ ليس لدى هذا الشعب أى شفقة ... إنه لشيء مؤلم! .

كوزما : أنا أحكى لهم قليلاً جدًا أيها السيد النبيل ! . إنهم يطلبون منى ذلك ! . لماذا لا أحكى لهم قليلاً جداً؟ حسنًا ، لن أحكى حتى لا أغضبك ... لن أحكى فلا يهمنى أمرهم ...

تُسمع أجراس عربة البريد

فيديا : لا تصرخ هكذا ، بالراحة ...

كوزما : أنا أحكى بالراحة ... لكن هو لم يأمرنى ... ما باليد حيلة... ليس هناك أكثر من هذا يستحق الحديث عنه. تم عقد القران – وانتهى الأمر ، خلاص ... ولم يحدث أكثر من ذلك. صُبّ لكوزما الذى لا يبغى أى منفعة ! (يشرب) أنا لا أحب إدمان الخمر! حدث بالضبط بعد عقد القران ، عندما جلس السادة النبلاء لتناول العشاء ، همت وهربت بسرعة فى عربة الخيول الفاخرة (ثم يتكلم همسًا) وبهدوء انطلقت إلى المدينة لعشيقها المحامى ... آه! أى إمرأة هذه؟ فى تلك اللحظة من الممكن أن تقول ... بأن قتلها شوية !.

ميريك : (متأملاً) أيوه ... ما الذى حدث بعد ذلك؟

كوزما : ها هو قد فَقَدَ صوابه ... هكذا ، كما ترى ، أصبح مدمنًا للخمر لم يقلع عنه ويقولون إنه أصبح مثل النحلة الطنانة، فتارة يكون في حالة سكر ، وأخرى مثل النحلة الطنانة... إنه يحبها حتى وقتنا هذا ... انظر : مازال يحبها! . ولديه الرغبة فى أن يذهب سيرًا على الأقدام إلى المدينة كى يلقى نظرة صغيرة عليها... يلقى نظرة فقط ويعود مرة أخرى ...

تقترب عربة البريد من الحانة ويدخل موزع البريد ويتناول كأساً من الخمر

تيخون : لقد باتت عربة البريد تتأخر هذه الأيام .

يدفع موزع البريد الحساب ثم يخرج في صمت ويرحل مع سماع أجراس عربة البريد.

يُسمع من أحد الأركان صوت يقول: «فى مثل هذا الجو الممطر من السهل جدًا سرقة البريد»

ميريك : عشت على ظهر الدنيا خمسة وثلاثين عامًا ولم أسرق البريد ولو مرة .

وقفة قصيرة

رحلت عربة البريد الآن فى ساعة متأخرة ... الوقت متأخر ...

كوزما : أترغب فى أن تعانى من الأشغال الشاقة؟

ميريك : الناس يسرقون ، ولا يعانون . حتى ولو أن هناك أشغالاً شاقة (يقول بحدة) ثم ماذا؟

كوزما : أأنت تقصد الكلام عن سيء الحظ هذا؟

ميريك : عن من غيره إذن؟

كوزما : الأمر الثانى ، يا إخوانى الذى كان سببًا فى إفلاسه – هو صهره، زوج أخته ... فقد كلف يومًا زوج أخته بإيداع مبلغ ثلاثين ألفا فى البنك ... إلا أن هذا الصهر كان يحب أن يأخذ فقط ... ومن المعروف أنه كان محتالاً ، ولا يعرف فقط غير مصلحته وكالخنزير لا يهتم أبدًا بأى شيء آخر... استولى على النقود ولم يودعها فى البنك ... وأعطاه صاحبنا الثلاثين ألفًا بالتمام والكمال . (يتنهد) . وبهذا فهو إنسان أحمق يعانى من الغباء والشقاء. أما الزوجة فأنجبت أطفالاً غير شرعيين من عشيقها المحامى . وصهره اشترى ضيعة بالقرب من بالتافا[15] ، وصاحبنا هذا كالغبى يتردد على الحانات ويشتكى قائلا : «فقدت، يا إخوانى الثقة! لا أثق الآن فى أحد!» لقد خارت عزيمته! لكل إنسان مصيبته الخاصة به ، فهذه الحية تمص دمه ، وهل هذا سبب فى أن يقدم على شرب الخمر؟ خذ ، على سبيل المثال فها هى الزوجة تمكنت من معاشرة عشيقها المحامى معلمها فى وضح النهار ، في الوقت نفسه جعلت الزوج الذى كان من علية القوم يبدد أمواله على الخمر، وقد جعل من نفسه أضحوكة يعانى من الإدمان ... والنحافة ...

تيخون : (يتنهد) يا لها من قوة قد أعطاها الله لهذا الرجل .

كوزما : صحيح أن القوة تكون متعددة ... أليس كذلك ؟ كم على أن أدفع لك؟ (يدفع الحساب) خذ الحساب كله ! الوداع ، يا شباب ! تصبحوا على خير ، أحلامًا سعيدة ! حان الوقت أن أسرع ... كى أقوم بتوصيل الداية من المستشفى إلى السيدة النبيلة... أغلب الظن انها ملت الانتظار غاضبة ومبلولة من المطر ... (يخرج مسرعًا).

تيخون : (بعد وقفة قصيرة) يا هذا! ما اسمك؟ إنسان تعيس ، تعال واشرب! (يصب له كأسًا).

بارتسوف : (يقترب فى تردد من الطاولة ويحتسى الخمر) . يعنى ، الآن ، أنا مدين لك بكأسين .

تيخون : أى دين هنا عليك أن تدفعه ؟ اشرب – وخلاص . أطفئ أحزانك بالخمر!

فيديا : اشرب ، أيها السيد النبيل ، على حسابى! آه! (يرمى خمس كابيكات على الطاولة) إذا شربت الخمر سوف تموت، وإذا لم تشرب الخمر سوف تموت أيضًا. بدون الفودكا يكون كل شيء على ما يرام ، وأما بالفودكا والله ، فإنك تخلو من الهموم ! فعندما تشرب الفودكا سواء يوجد حزن أم لا ... فلا تشعر إلا بالحرارة!

بارتسوف : أف! أشعر بحرارة الفودكا !

ميريك : تعال هنا! (يأخذ من تيخون الميداليون ويتفحص الصورة) ممم ... بعد عقد القران هربت ... إنت إيه؟

يصدر صوت من ركن الحانة يقول : « صب له كأساً ، يا تيشا[16]، دعه يشرب على حسابى »

ميريك : (يرمى بقوة الميداليون على الأرض) يا لها من ملعونة! (يمشى بسرعة إلى مكانه ويرقد واضعا وجهه تجاه الحائط).

تسود الحانة حالة من الهرج

بارتسوف : ما هذا ؟ ما الذى حدث؟ (يلتقط الميداليون) كيف تجرؤ على هذا يا حيوان ؟ بأى حق تفعل هذا؟ (باكيا) هل تريد أن أقتلك؟ هه؟ يا فلاح ! يا جاهل!

تيخون : لا تغضب أيها السيد النبيل ... فالميداليون لم تنكسر فهى ليست من الزجاج ... اشرب كأسا آخر، ونم ... (يصب له الخمر) أنا هنا كى أطيعكم وأقوم على خدمتكم. كان لزاما علىَ منذ وقت طويل أن أغلق باب الحانة . (يتجه إلى الباب ويوصد الباب الخارجى)

بارتسوف : (يشرب) كيف يجرؤ؟ هذا الأحمق! (ثم يتحدث إلى ميريك) هل تفهم ؟ إنك شخص أحمق ، حمار!

سافا : ياشباب ! يا محترمون! عليكم بالتزام الصمت! ما الفائدة من إحداث هذا الصخب ؟ دعوا الناس تنام! .

تيخون : هيا ارقدوا ، هيا ارقدوا ...! سيصمتون ويجعلونك تنام ! (يذهب وراء الطاولة ويغلق الصندوق ، الذى به إيراد اليوم) حان الآن وقت النوم!

فيديا : حان وقت النوم (يرقد) أحلاما سعيدة ، يا إخوانى!

ميريك : (ينهض ويقوم بترتيب معطف قصير من الفرو على الدكة) تعال ، أيها السيد النبيل ، ونَمْ هنا .

تيخون : وأين ستنام أنت ؟

ميريك : فى أى مكان ... حتى ولو على الأرض ... (يفرش التلفيحة على الأرض) بالنسبة لى سيان (يضع بالقرب منه البلطة) أما بالنسبة له ، إذا نام على الأرض فسيتألم ... فقد تعوّد هو على الحرير وعلى القطن ...

تيخون : (مخاطبًا بارتسوف) اتفضل ، يا صاحب السعادة ! نَمْ. سوف تتطلع إلى الصورة فيما بعد (يطفئ الشمعة) اتركها الآن!

بارتسوف : (وهو يترنح) أين من المفروض أن أنام؟

تيخون : نَمْ مكان هذا المتسكع! يبدو ، كما سمعت ، إنه ترك لك المكان!

بارتسوف : (يقترب إلى المكان الذى تركه له) أنا ... يبدو أننى سكرت ... ما هذا؟ هل سأنام هنا؟ هه؟

تيخون : هنا ، هنا ، لا تخف ، نَمْ .. (يتمدد على طاولة الحانة)

بارتسوف : (يرقد للنوم) أنا ... سكران ... كل شيء حولى ... (يفتح الميداليون) هل عندك شمعة صغيرة ؟

وقفة قصيرة

: أنتِ يا ماشا مخلوقة رائعة الجمال ... أنتِ تتطلعي إليّ من خلال هذا البرواز الصغير وتضحكين... (يضحك) وأنا سكران! وهل من الممكن الاستهزاء من السكران؟ أنتِ تستهزئى بى، عليكِ أن تحبينى ، حتى ولو كنت سكرانًا، كما يقول تشستليفيتس[17] ، أحبى السكران.

فيديا : يا لها من رياح شديدة تعوى ! فظيعة !

بارتسوف : (يضحك) يا لك من امرأة ... هل من المعقول أن تكونى قد ضليتى الطريق ؟ لا أحد يستطيع العثور عليك !

ميريك : إنه يهذى . يستمتع بالنظر إلى الصورة . (يضحك) يا ناس الموقف مُحرج! أيها السادة المتعلمون ، لقد اخترعتم العديد من الآلات والأدوية ، ولم يظهر بعد الإنسان الذكى الذى يبتكر دواءً ضد الجنس الناعم... يبحثون ، وكما لو كانوا قد عالجوا كل الأمراض ، أما هذا الدواء فمن الواضح أن أحداً لم يهتم به ولذا فإن عدد الذين يهلكون من الشعب بسبب النساء أكثر من ضحايا الأمراض... كم أنتم ماكرون ، حريصون على جمع المال ، قساة القلوب ، عديمو البصيرة ... فأم الزوج تُهلك زوجة الابن ، وزوجة الابن تسعى فى أن تغش زوجها لو استطاعت ... وهكذا بلا نهاية...

تيخون : يبدو أن النساء قد جذبته من شعره توبيخا ، فها هو شعره ينتفش .

ميريك : لست أنا الوحيد ... فمنذ الأزل وإلى أن ينتهى العالم ، سيظل الناس تشكو ... فليس عبثًا وليس سدى أنه فى الحكايات والأغانى أن النساء ترتكب الخطايا ولهذا تساوت بالشيطان... هذه حقيقة حتى ولو نصفهن هكذا ، فهى حقيقة ...

وقفة قصيرة

ها هو السيد النبيل يقع فى حيص بيص ، أما أنا فهل أصبحت متشردًا فاقد العقل بعد أن هجرت أبى وأمى؟

فيديا : بسبب النساء؟

ميريك : وهكذا أصبحت مثل السيد النبيل ... وسرت كالشيطان، مسلوب العقل تمامًا ، أتظاهر بالسعادة... وكنت أعيش ليل نهار فى نار ، إلى أن جاء الوقت ، وفتحت عينى ... وأدركت بأن هذا لم يكن حبًا ، بل كان هذا شيئًا واحدًا فقط وهو الخداع ....

فيديا : ماذا فعلت بها ؟

ميريك : ليس هذا من شأنك ..

وقفة قصيرة

هل تعتقد بأننى قتلتها؟ لا حول لى ولا قوة ... إنها لا تستحق القتل ، ليست المسألة فى قتلها ، ولكن فى أن تشفق عليها ... تمنيت لها أن تعيش ... وأن تكون ... سعيدة! لم تر عيناى إلا أنتِ فقط ، ليتنى أنساكِ ، أيتها الحية الغدارة!

طرق على الباب

تيخون : : تبًا للشيطان الذى أرسلكم ... مَنْ الذى هناك؟

طرق

: مَنْ الطارق ؟ (ينهض ، ويقترب من الباب) مَنْ يطرق الباب؟ امشِ ، المكان مغلق!

(صوت من وراء الباب)

: «اسمح لى بالدخول ، يا تيخون ، لو سمحت لقد انكسر زنبرك عربة الخيول! ساعدنى وحياة أبوك! ولو نربطها بحبل صغير حتى نصل بأى طريقة ... »

تيخون : من هو المسافر معك ؟

(صوت من وراء الباب)

: «زوجة صاحب الأملاك تسافر من المدينة إلى فارسانوفييفا... لم يبق فقط سوى خمس فيرسات ... ساعدنى اعمل معروفا»!

تيخون : اذهب وقل للسيدة ، إذا أعطتنى عشرة روبلات ، سيكون هناك الحبل وسيتم إصلاح الزنبرك ...

(صوت من وراء الباب)

إنت اتجننت ولا إيه؟ عشرة روبلات! «يا لك من كلب مسعور! تفرح فى مصائب الناس!»

تيخون : وكن فى علمك ... أن لم تُردْ ، مش ضرورى ...

(صوت من وراء الباب)

حسنًا ، انتظر

وقفة قصيرة

: السيدة قالت «حسناً»

تيخون : أهلاً وسهلاً ! (يفتح الباب ويسمح للحوذى بالدخول) .

IV

نفس الشخصيات بالإضافة إلى الحوذى

الحوذى : مرحبًا يا أتباع المذهب الأرثوذكسى! هيا اعطنى الحبل! بسرعة ! يا شباب مَنْ الذى سيقوم بمساعدتى؟ وسوف يأخذ بقشيشًا!

تيخون : ليس هناك حاجة للبقشيش ... دعهم ينامون ، سوف نقوم بإصلاحها نحن الاثنان معًا.

الحوذى : أف ، إننى فى غاية التعب! الدنيا برد ، الطريق موحل بعد المطر ، لا يوجد مكان واحد جاف ... هناك شىء آخر ، يا عزيزى ... هل يوجد عندك هنا حجرة صغيرة ، لأن السيدة فى حاجة إلى الدفء لبعض الوقت ؟ وعربة الخيول مالت على جنبها ، ولا يمكن الجلوس فيها بأى حال من الأحوال...

تيخون : ليه السيدة فى حاجة إلى غرفة ؟ دعها تتدفأ هنا ، إذا كانت تشعر بالبرد الشديد ... سنجد لها مكانًا . (يقترب من بارتسوف ويقوم بتنظيف مكان بالقرب منه) من فضلك انهض ، من فضلك انهض! سيادتك سوف ترقد حوالى ساعة على الأرض ، حتى تتدفأ السيدة (مخاطبًا بارتسوف) لو سمحت انهض يا صاحب السعادة! اجلس هنا قليلاً (وينهض بارتسوف) ها هو مكانك .

الحوذى يخرج

فيديا : ها هى زبونة قد أحضرها لك الشيطان! لن تنام الآن حتى طلوع النهار.

تيخون : وأسفاه ليتنى طلبت منها خمسة عشر روبلاً ... وكانت ستعطينى إياها ... (يقف أمام الباب فى ترقب) كونوا أناسا مهذبين ... ولا تتفوهون بكلمات ...

تدخل ماريا يجورفنا ومن خلفها الحوذى

V

نفس الشخصيات بالإضافة إلى ماريا يجورفنا والحوذى

تيخون : (وهو ينحنى احتراما) أهلاً وسهلاً ، يا صاحبة السيادة! دارنا قروى به صراصير فلا تشمئزى !

ماريا يجورفنا : إنى لا أرى شيئًا هنا ... إلى أين يجب علىّ أن أذهب؟

تيخون : إلى هنا ، يا صاحبة السيادة! (يقودها إلى مكان بالقرب من بارتسوف) إلى هنا ، أهلاً وسهلاً ! (ينفخ فى المكان لإزالة التراب عنه) معذرة ليس عندى حجرة مستقلة ولكن ، سيادتكم ، أرجو ألا ينتابكم أدنى شك : إن هؤلاء الناس طيبون ، ومسالمون ...

ماريا يجورفنا : (تجلس بالقرب من بارتسوف) يا له من جو خانق! افتحوا على الأقل الباب!

تيخون : سمعًا وطاعة يا سيدتى ! (يجرى ويفتح الباب على مصراعيه)

ميريك : الناس ترتجف من البرد ، وهم يفتحون الباب على مصراعيه! (ينهض ويغلق الباب بعنف) مَن هذه التى تعطى الأوامر ؟ (يرقد للنوم) .

تيخون : لا تؤاخذينى ، يا صاحبة السيادة ، عندنا واحد أحمق ... ، إنه عابر سبيل غريب الأطوار ... لكن لا تخافى سيادتك، لن يسيء إليكِ ... فقط لا تؤاخذينى ، يا سيدتى ، فأنا لم أوافق على أن آخذ عشرة روبلات ... بل خمسة عشر روبلاً ، إذا كان هذا ممكنًا.

ماريا يجورفنا : حسنًا ، ولكن على أن يكون بسرعة .

تيخون : حالاً ... سوف نقوم بعمل كل شيء في لمح البصر ... (يسحب من وراء الطاولة قطعة من حبل) . لحظة واحدة...

وقفة قصيرة

بارتسوف : (يمعن النظر فى ماريا يجورفنا) مارى ... ماشا[18]...

ماريا يجورفنا : (ناظرة إلى بارتسوف) فيه إيه تانى؟

بارتسوف : مارى ... أأنت مارى؟ من أين جئت؟

عندما تعرفت ماريا يجورفنا على بارتسوف ، أطلقت صيحة عالية ثم وثبت فى منتصف الحانة.

: (ويسير خلفها قائلاً) مارى ، ها هو أنا ... أنا (يقهقه) زوجتى! مارى! لست أدرى أين أنا؟ يا ناس ، بصيصًا من النور!

ماريا يجورفنا : ابتعد من هنا! إنك تكذب ، إنه لست أنت! مستحيل! (تخفى وجهها بكلتا يديها) هذا كذب ، وغباء!

بارتسوف : الصوت ، الحركات ... مارى ، إنه أنا ! الآن سوف أكف.... أنا سكران ... أشعر بدوخة في رأسى.. يا إلهى! مهلاً ، مهلاً ... أنا لا أفهم أى شيء . (يصرخ) إنها زوجتى! (يركع تحت قدميها وينتحب)

يتجمع بالقرب من الزوجين لفيف من النزلاء

ماريا يجورفنا : ابتعدوا بعيداً ! (ثم تخاطب الحوذى) يا دنيس ، لابد وأن نرحل! لا أستطيع أن أبقى هنا أكثر من ذلك!

ميريك : (وثب وأخذ يمعن النظر فى وجهها ، بنظرة ثاقبة) الصورة! (يمسكها من يدها) يا ناس هى نفسها! آه ، إنها زوجة السيد النبيل!

ماريا يجورفنا : اغرب بعيدًا عنى ، يا فلاح ! (تحاول أن تخلّص يدها منه) يا دنيس ، مالك ، تنظر هكذا ولم تفعل شيئًا ؟

دينيس وتيخون يهرعان إليها ويتأبطا ميريك

: هذا وكر لصوص! اترك يدى! أنا لا أخاف ... ! ابتعد عن هنا!

ميريك : انتظرى ، سوف أتركها الآن ... بل دعينى أقول لك كلمة واحدة فقط ...كلمة واحدة ، كى تفهمى ... مهلاً ... (وهو يلتفت إلى تيخون ودينيس) ارفعوا أيديكم عنى، أيها الأجلاف ، لا تمسكانى ! لن أتركها ، حتى أقول كلامى! مهلاً ... الآن (يضرب جبينه بقبضة يده) لا ، الرب لم يعطنى عقلاً! لا أستطيع أن أجد الكلمة التى تتناسب مع هذه الورطة!

ماريا يجورفنا : (تخلص يدها منه) اذهب من هنا حالاً! سكارى ... هيا نرحل من هنا يا دينيس! (وهى تريد أن تذهب صوب الباب).

ميريك : (يحجب عنها الطريق) . هيا ، انظرى إليه ولو نظرة واحدة! عامليه بلطف حتى ولو بكلمة حنان واحدة ، أستحلفك بالله!

ماريا يجورفنا : ابعدوا عنى هذا ... المجنون .

ميريك : فلتذهبى إلى الجحيم ، أيتها الملعونة ، تبا لك! (يلوح بالبلطة)

يحدث اضطراب شديد . ينتفض الجميع من أماكنهم بالضجيج وصيحات الفزع ويقف سافا ما بين ميريك وماريا ...

ويدفع دينيس بكل قوة ميريك بعيداً وتخرج السيدة النبيلة من الحانة . ثم بعد ذلك يقف الجميع صامتين دون حركة وتستمر وقفة لمدة طويلة .

بارتسوف : (يمسك الهواء بيديه) مارى ... أين أنت ، يا مارى!



"بارتسوف" مع "ماريا يجورفنا" ـ زوجته الهاربة ـ بعد أن تعرف عليها

نازيروفنا : يا إلهى ، يا إلهى ... عذبتم روحى أيها القتلة! يا لها من ليلة ملعونة!

ميريك : (يخفض يده بالبلطة) قتلتها أم لا؟

تيخون : احمد ربنا ، بأن رأسك مازالت سليمة ...

ميريك : كان ولابد وأن أقتلها ... (يتمايل ، ويذهب إلى سريره) لم يمهلنى القدر أن أقتلها بالبلطة المسروقة... (ويسقط على فرشه ويجهش بالبكاء) . يا لها من كآبة ! . يا لها من كآبة شريرة تنتابنى! فلتشفقوا على ، يا أتباع الكنيسة الأرثوذكسية !

تسدل الستار

* * * * * *